

علو الهمة  
في التفكر



## علو الهمة في التفكير

عبادة التفكير ومنزلتها في الإسلام :

من الفوارق الهامة التي تُميّز المؤمنَ عن غيره في هذه الحياة أن المؤمنَ ينظرُ إلى كلِّ حركةٍ وسكّنةٍ تقعُ حوله في هذا العالمِ بعينِ التّفكّرِ والاعتبار؛ وقد خلّق اللهُ تعالى هذا الكونَ العظيمَ -بما فيه من مخلوقاتٍ- دلالةً على وحدانيّته وعظمتِهِ وتفردِهِ بالجلالِ والكمالِ؛ وطَلَبَ سبحانه من عباده أن يتفكّروا ويتأمّلوا في هذه المخلوقات التي تُحيطُ بهم من كلِّ جانب؛ وهذا التّفكّرُ ليس مقصودًا لذاته؛ إنّما المرادُ منه أن يتعلّقَ القلبُ برَبِّ العالمين، ويعرفه، ويُحِبّه، ويُفردَه بالوحدانيّةِ والدُّلِّ والخُضوعِ والعبادةِ<sup>(١)</sup>، فلا يَصرفُ لغيرِهِ من المخلوقاتِ - في هذا الكونِ الفسيحِ الرَّحيبِ - أيّ نوعٍ من أنواعِ العبادة؛ حتّى يكونَ - سبحانه - هو كلُّ شيءٍ في حياة عبده<sup>(٢)</sup>.

**والتّفكّرُ معناه:** تكرارُ تأمّلِ القلبِ في الشيءِ مرّاتٍ ومرّاتٍ، حتّى يتعرّفَ العبدُ على خباياه وأسراره -قَدْرَ طاقته-<sup>(٣)</sup>.

(١) وهذا الأمر يسري على كل ما نصبه الربُّ العظيمُ ليعرفه عباده.. ولذا بيّن أهل العلم أن العلوم والاكتشافات العلمية التي تظهر يومًا بعد يوم إذا لم تقرب العباد لربهم فقد ضاعت منها الثمرة العظمى وصارت حُجّةً على أصحابها يوم الدين.. انظر: «العقيدة في الله» للشيخ الأشقر، وفي «ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب (٥٤٥/١).

(٢) ومن أعظم ما يُجِبُّ العبدَ إلى ربه، ويُعلِّقُ قلبه به أمران: تدبر آياته المقروءة.. والتأمل في آياته المرئية.. وأنصح بقراءة الكتاب الجميل الرقيق «موارد الظمآن في محبة الرحمن».

(٣) مستفاد معناه من «تفسير القرطبي» (٤/٣٢٢ - ط: دار الحديث).. وفيه أيضًا (٤/٣٢٣) خلاف الفقهاء والصوفية حول التفكير والصلاة أيهما أفضل؟ فقال

□ وقال ابن القيم : «الفكرة هي تحديق القلب إلى جهة المطلوب التماسه»<sup>(١)</sup>.

□ وقال : «الفكرة هي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعأ له مجملًا، ولما يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه»<sup>(٢)</sup>.

وثمره التفكر: اليقين، لا سيبًا مع كثرة الدلائل وتنوعها.

وقد أخبرنا رب العالمين أنه وضع الآيات المتنوعة -المقروءة والمرئية- في هذه الحياة القصيرة ليتفكر فيها العباد:

\* فقال **وَعَلَّمَ** : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة].

□ قال الحسن البصري: «هي والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء، ثم دار فناء، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء»<sup>(٣)</sup>.

\* وقال جل وعلا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَعَلَّهُمْ يَنْفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل].

\* وقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

□ قال الحسن البصري: «والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم يقول: قرأت القرآن، ما يرى عليه القرآن في

الصوفية: التفكير، وقال الفقهاء: الصلاة أفضل.

(١) «مدارج السالكين» (١/١٤٦).

(٢) «مدارج السالكين» (١/١٢٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/٢٩٤).

خُلِقَ ولا عمل»<sup>(١)</sup>.

### دعوة القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى التفكير:

كـ قد تنوّعت أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في بيان أهمية التفكير وضرورته، كسبيل هام جداً من سبيل الإيمان بالإله الواحد الأحد لا شريك له، والاستعداد للدار الآخرة وإليكم أبرز الأساليب القرآنية والنبوية الداعية إلى التفكير:

#### أولاً: الدعوة الهادئة للتأمل في آيات الكون:

لقد تكاثرت دعوة الله تبارك وتعالى للكافرين والمنافقين أن يتفكروا في الآيات المبتوثة في الكون -عاليه وسافله-، لعل هذا التفكير يأخذ بأيديهم بعد -رحمة الله تعالى- إلى الإقرار والانصياع لعبودية فاطرهم الأوحد، ونبذ ما سواه ممن لا ينفع ولا يضر.

\* قال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[يونس: ١٠١].

انظُرُوا، وتأمّلُوا، واعتبرُوا.. لعلكم تعقلون وتتقون وتعلمون لماذا خلقتكم؟، وما هو واجبكم تجاه ربكم؟ وما هو المقصود من إيجادكم؟.

□ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يرشد تعالى عباده إلى التفكير في آياته، وما خلق الله في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السماوات من كواكب نيرات، وثوابت وسيارات، والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر؛ حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها

(١) «تفسير ابن كثير» (١٢/٨٧).

وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها وأخرج فيها من أفانين الثمار والزرروع والأزاهير وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب، وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مذل للسالكين يحمل سفهم ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو ولا رب سواه»<sup>(١)</sup>.

□ «إن النظر بالقلب المفتوح والعين المبصرة في هذا الملكوت الواسع الهائل العظيم يكفي وحده لانتفاض الفطرة من تحت الركام، وتنتج الكينونة البشرية لإدراك الحق الكامن فيه والإبداع الذي يشهد به والإعجاز الذي يدل على البارئ الواحد القدير، والنظر إلى ما خلق الله من شيء -وكم في ملكوت السماوات والأرض من شيء- يدهش القلب ويحير الفكر، ويلجئ العقل إلى البحث عن مصدر هذا كله، وعن الإرادة التي أوجدت هذا الخلق على هذا النظام المقصود المشهور»<sup>(٢)</sup>.

□ «والنظر إلى ما في السماوات والأرض يمد القلب والعقل بزاد من المشاعر والتأملات، وزاد من الاستجابات والتأثرات، وزاد من سعة الشعور بالوجود، وزاد من التعاطف مع هذا الوجود، وذلك كله في الطريق إلى امتلاء الكينونة البشرية بالإيقاعات الكونية الموحية بوجود الله، وبجلال الله، وبتدبير الله، وبسلطان الله، وبحكمة الله، وبعلم الله»<sup>(٣)</sup>.

\* وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاجِدٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/٤٠٥).

(٢) «في ظلال القرآن» (٣/١٤٠٥).

(٣) «في ظلال القرآن» (٣/١٨٢٢).

مَشَى وَفَرَدَى ثُمَّ نَفَّكَرُوا ﴿٤٦﴾ [سبأ: ٤٦].

إنَّهَا دعوة للتأمل والاتعاظ بأن يقوم العبد وحده - أو بمعاونة من يستشعر فيه العدل والإنصاف <sup>(١)</sup> - ليتأمل الجميع في بديع صنع الله تعالى، ليدبِّروا آياته، ويتعلقوا ما جاءهم به محمد ﷺ، ويزنوه على ميزان العقل السوي والفضيلة النظيفة؛ وإذا لم تكابرهم نفوسهم، ولم يطمسوا على بصائرهم، فسوف يوقنون بإلههم ويخضعون لجلاله ويتبعون شريعته بنفس راضية مطمئنة.. وليس بعد هذا إلا السعادة والفوز العظيم.

\* وقال جل جلاله: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك].

إن الإله القدير العظيم الذي له كل هذا الملك بلا شريك ولا منازع هو الذي خلق أعظم آيتين في حياتكم لا تستطيعون إنكارهما - الموت والحياة -، خلقهما ليختبركم ويرى أعمالكم.. فمن كفر وضل عاقبه بعزته.. ومن آمن وخضع عاملة بعفوه ومغفرته.

إنه الملك العظيم الذي خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، محكمة الصنع والإتقان، وبث فيها الدلائل الباهرات والآيات العجيبات النيرات التي تنطق كلها بوحداية بارئها ﷻ؛ وأنت - أيها الإنسان - لا يمكن أن ترى تناقضًا أو اضطرابًا في هذا الخلق البديع، ولك أن تكرر النظر مرات

(١) ولا بد أن يكون الرفيق عاقلًا منصفًا وإلا لم تنفع الصحبة.

بعد مرات، هل ترى في تلك السماوات العظيمة من شروخ أو تصدعات تدل على الخلل والضعف وقرب الانهيار؟! أعد النظر وكرر ثم كرر، فإنك في النهاية تبوء بالفشل أن ترى ذرة خلل أو نقص أو وهن في هذه الآيات النيرات.

تأمل —أيها الإنسان— في هذا كله وتفكر، لتعرف خالقك وفاطرك، فإنك من دون هذه المعرفة لا تساوي أي شيء.

\* وقال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأْتُوا لِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر].

تأملوا وتدبروا في سنن الله تعالى في الحياة، لعلكم تفقهون.

\* وقال سبحانه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [آل عمران].

\* وقال ﷺ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام].

\* وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ

اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَتَفَكَّرُوا فِي

[فاطر].

إن إلغاء مسلمات العقل ليس في صالح الإنسان، وإن التعامي والتغابي عن سنن الله تعالى في الحياة وأفعاله مع الطائعين والحائدين لن يعود بمنفعة أو مكسب للعبد، فالعقل خلق لينظر ويعتبر ويتأمل ويقيس الأمور بمقاييس سديدة منصفة؛ ليرى نهايته المتوقعة من خلال منهجة في الحياة.. وهذه النهاية تتراءى أمام ناظره من أشباهه وأمثاله الذين سبقوه إلى الآخرة.. فإنهم ما بين مؤمن وكافر.. وقد كشفت الأيام المتعاقبة للناس جميعاً سنة الله تعالى التي لا تتخلف في إكرام المطيعين وإهانة

المستكبرين المعرضين.

فليتأمل العبد وليعتبر إذن بالسالفين؛ فعما قريب سيكون مع أحد الفريقين لا محالة، وسوف يمسي ذكرى من الذكريات.

فهذا أسلوبٌ من الحوار الهادئ والدعوة المترتبة مع كل معرض عن مولاه أب رشده وهداه، إنها دعوة للتفكير في هذه الحياة ونهايتها، والمصير المتظر لأهلها - على اختلاف مشاربهم ومناهجهم وتوجهاتهم -، دعوة تفتح مغاليق العقول، وتبعثها بإذن الله من سباتها العميق.

### ثانياً: مدح المتفكرين وذم الغافلين المتغافلين:

\* قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران].

وهنا يذكرُ رَبِّهِ أَنْ مَا خَلَقَهُ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ عَظِيمَاتٍ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ -وخاصةً اختلاف أحوال الليل والنهار-، كلُّ هذا يعتبرُ ويتعظُّ به أولو العقول الصحيحة التي لم تغم ولم تتلوث ببلونات الكفر والإعراض عن خالقها جلَّ وعلا.. إنهم هؤلاء الذين لا يفترُّون عن ذكر الله بقلوبهم وألسنتهم وأبدانهم في كافة أحوالهم -قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم-، وهم في كلِّ هذا يتأملون ويتفكرون في الكون الجليل بكلِّ ما فيه من آياتٍ وعبرٍ تبعثُ في القلب الخشية والخشوعَ والمحبةَ لخالقه العظيم تبارك وتعالى، وهنا تدمعُ العين ويذلُّ اللسانُ قائلاً: ﴿رَبَّنَا مَا

خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا ﴿١١﴾ ، بَلْ خَلَقْتَهُ بِالْحَقِّ وَاللَّحَقِّ <sup>(١)</sup> .. وَأَنْتَ - رَبَّنَا - كَمَا خَلَقْتَ هَذَا الْكُونَ الْمُرَامِي الْأَطْرَافَ بِقُدْرَتِكَ الْعَظِيمَةِ، فَأَنْتَ قَادِرٌ كَذَلِكَ عَلَى إِدْخَالِ مَنْ تَشَاءُ بِرَحْمَتِكَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِدْخَالِ مَنْ تَشَاءُ بِعَدْلِكَ إِلَى النَّارِ، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١١﴾ .

فَتَأَمَّلُوا كَيْفَ وَصَلَ بِهِمَا لِتَأْمُلُ وَالتَّدَبَّرُ فِي آيَاتِ رَبِّهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَانْتَقِلُوا فِي لَمَحِ الْبَصَرِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ غَايَةُ التَّفَكُّرِ - أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ -، أَنْ يَعْرِفَ الْعِبَادُ حَقِيقَةَ وَجُودِهِمْ، وَمِلَاذَا خُلِقُوا، وَمَا هُوَ مَصِيرُهُمْ الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ.. فَإِذَا طَهَّرْتَ قُلُوبَهُمْ وَسَمَّتْ أَرْوَاحُهُمْ أَزْدَادًا تَفَكَّرُهُمْ، وَغَاصُّوا فِي آيَاتِ رَبِّهِمْ غَوَّصًا، فَانْبَعَثَ مِنْهَا الرَّهْبَةُ وَالرَّغْبَةُ مِنْهُ <sup>وَعَجَلًا</sup>، فَنَحَّتِ الرَّاحَةُ يَسَارًا، وَشَحَذَتْ هِمَمَهَا لِعِبَادَةِ خَالِقِهَا تَحْقِيقًا لِلْمُرَادِ الْأَسَاسِ مِنْ وُجُودِهَا.

«وَأُولُو الْأَلْبَابِ - أُولُو الْإِدْرَاكِ الصَّحِيحِ - يَفْتَحُونَ بَصَائِرَهُمْ لِاسْتِقْبَالِ آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ، وَلَا يَقِيمُونَ الْحَوَاجِزَ، وَلَا يَغْلِقُونَ الْمَنَافِذَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى اللَّهِ بِقَوْلِهِمْ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَى جَنُوبِهِمْ، فَتَفْتَحُ بَصَائِرَهُمْ، وَتَشْفَى مَدَارِكَهُمْ، وَتَتَّصِلُ بِحَقِيقَةِ الْكُونَ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ إِيَّاهُ.

وَمَشْهَدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَشْهَدُ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَوْ فَتَحْنَا لَهُ بَصَائِرَنَا وَقُلُوبَنَا وَإِدْرَاكَنَا، لَوْ تَلَقَيْنَاهُ كَمَشْهَدِ جَدِيدٍ تَفْتَحُ لَهُ الْعْيُونَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، لَوْ اسْتَنْقَدْنَا حِسِّنًا مِنْ هُمُودِ الْإِلْفِ وَخُمُودِ التَّكْرَارِ لَارْتَعَشْنَا لَهُ

(١) انظر عن معنى «الحق» كتاب «بصائر للمسلم المعاصر» للعلامة عبد الرحمن الميداني (ص ٤٥).

رؤانا، ولاهترز له مشاعرنا<sup>(١)</sup>.

إن القرآن يقرن ابتداء بين توجه القلب إلى ذكر الله وعبادته وبين التفكير في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، فيسلك هذا التفكير مسلك العبادة، ويجعله جانباً من مشهد الذكر، فيوحى - بهذا الجمع - بحقيقتين هامتين:

**الحقيقة الأولى:** أن التفكير في خلق الله والتدبر في كتاب الكون المفتوح، وتتبع يد الله وهي تحرك هذا الكون وتقلب صفحات هذا الكتاب: هو عبادة لله من صميم العبادة، وذكر لله من صميم الذكر.

**الحقيقة الثانية:** أن آيات الله في الكون لا تتجلى على حقيقتها الموحية إلا للقلوب الذاكرة العابدة، وأن هؤلاء الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وهم يتفكرون في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار هم الذين تفتح لبصائرهم الحقائق الكبرى المنطوية في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وهم الذين يتصلون من ورائها بالمنهج الإلهي الموصل إلى النجاة والخير والصلاح.

إنها أمران متلازمان تعرضهما هذه الصورة التي يرسمها القرآن لأولي الألباب في لحظة الاستقبال والاستجابة والاتصال.

إنها لحظة تمثل صفاء القلب، وشفافية الروح، وتفتح الإدراك،

(١) ذكر الأستاذ سيد قطب هنا أن هذا النظام البديع لا بد أن وراءه «عقلاً» يدبر.. وهذا خطأ منه - عفا الله عنه - ، فإنه لا يحل أن يوصف الله تعالى بالعقل المدبر.. إنما هذا وصف الفلسفة المستمدة من كتب اليونان والرومان، فانتبه، آتاك الله رشداً.

واستعداده للتلقي كما تمثل الاستجابة والتأثر والانطباع.

إنها لحظة العبادة وهي بهذا الوصف لحظة اتصال ولحظة استقبال، فلا عجب أن يكون الاستعداد فيها لإدراك الآيات الكونية أكبر، وأن يكون مجرد التفكير في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ملهمًا للحقيقة الكامنة فيها، وإدراك أنها لمتخلق عبثًا ولا باطلاً<sup>(١)</sup>.

□ ومن اللطائف في هذه الآيات الكريهات أن الله تعالى لم يجعل عذرًا لأحد في ترك التفكير في آياته، فالتفكير شامل لكل حالات العبد من القيام والقعود والرقود؛ لأنه عبادة قلب، فيمكن للعبد أن يغيب في أعماق الأرض أو يغوص في أغوار البحار أو ينفذ في أقطار السماوات وهو راقد على فراشه، حيث يسبح بفكره في هذه الأجواء العجيبة المتنوعة وما فيها من ملايين الآيات التي تهتف جميعًا بوحدانية الخالق وتعظيمه وتقديسه.

□ قال الإمام قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: «هذه حالاتك كلها يا ابن آدم، اذكر الله وأنت قائم، فإن لم تستطع فاذكره جالسًا، فإن لم تستطع فاذكره وأنت على جنبك.. يُسِّرُ من الله وتخفيف».

□ وقال الإمام مجاهد: «لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا»<sup>(٢)</sup>.

□ وقال العلامة القرطبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ذكر تعالى ثلاث هيئات، لا يخلو ابن آدم منها في غالب أمره، فكأنها تحصر زمانه.. ومن هذا المعنى قول

(١) «في ظلال القرآن» (١/٤٥٤، ٥٤٦) باختصار.

(٢) «الدر المنثور» للسيوطي (٤/١٧٩ - ط: دار هجر).

عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

□ قال الإمام الرازي -رحمه الله وعفا عنه-: «دلائل التوحيد محصورة في قسمين: دلائل الآفاق، ودلائل الأنفس.. ولا شك أن دلائل الآفاق أجل وأعظم، كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ولما كان الأمر كذلك لا جرم أمر في هذه الآية بالفكر في خلق السماوات والأرض؛ لأن دلائلها أعجب وشواهداها أعظم، وكيف لا نقول ذلك؟! ولو أن الإنسان نظر إلى ورقة صغيرة من أوراق شجرة رأى في تلك الورقة عرقاً واحداً ممتداً في وسطها، ثم يتشعب من ذلك العروق كثيرة إلى الجانبين، ثم يتشعب منها عروق دقيقة، ولا يزال يتشعب من كل عرق عروق آخر حتى تصير في الدقة بحيث لا يراها البصر، وعند ذلك يعلم أن للخالق في تدبير تلك الورقة على هذه الحلقة حكماً بالغة وأسراراً عجيبة، أن الله تعالى أودع فيها قوى جاذبة لغذائها من قعر الأرض، ثم إن ذلك الغذاء يجري في تلك العروق حتى يتوزع على كل جزء من أجزاء تلك الورقة جزء من أجزاء ذلك الغذاء بتقدير العزيز العليم، ولو أراد الإنسان أن يعرف كيفية خلقه تلك الورقة وكيفية التدبير في إيجادها وإيداع القوى الغذائية والنامية فيها لعجز عنه، فإذا عرف أن عقله قاصر عن الوقوف على كيفية خلقه تلك الورقة الصغيرة، فحينئذ يقيس تلك الورقة على السماوات مع ما فيها من الشمس

(١) رواه مسلم.

(٢) «تفسير القرطبي» (٤/٣١٩)، ثم ذكر رحمته الله خلاف العلماء حول جواز ذكر الله تعالى في الخلاء وغير ذلك من المباحث الفقهية.. فراجعه -إن شئت- ، وبنحو ما قال القرطبي قال ابن القيم كما في «بدائع التفسير» (١/٥٤٠).

والقمر والنجوم، وإلى الأرض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان: عرف أن تلك الورقة بالنسبة إلى هذه الأشياء كالعدم. فإذا عرف قصور عقله عن معرفة ذلك الشيء الحقيق، عرف أنه لا سبيل له البتة إلى الاطلاع على عجائب حكمة الله في خلق السماوات والأرض، وإذا عرف بهذا البرهان النير قصور عقله وفهمه عن الإحاطة بهذا المقام لم يبق معه إلا الاعتراف بأن الخالق أجل وأعظم من أن يحيط به وصف الواصفين ومعارف العارفين، بل يسلم أن كل ما خلقه ففيه حكم بالغة وأسرار عظيمة وإن كان لا سبيل إلى معرفتها، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ ، وكلمة هذا متضمنة لضرب من التعظيم.. أي: ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثًا عاريًا عن الحكمة خاليًا من المصلحة.. بل منتظمًا لحكم جليلة ومصالح عظيمة، من جملتها أن يكون دلالة على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك، وأن يكون مدارًا المعاش العباد ومنازًا يرشدهم إلى معرفة المبدأ والمعاد»<sup>(١)</sup>.

### ثالثًا: ضَرْبُ الْأَمْثَالِ:

إن ضرب الأمثال مما تستلذه الأسماع وثير أتباعه العقول إلى المقصود من وراء هذا المثل.. وهو بلا شك ذو أهمية كبرى في حياة العرب خاصة والناس عامة، وله فوائد وأغراض عديدة كلها تشي بمكانته المتميزة لدى أهل الفطن والبصائر.

وقد تكاثرت جدًّا الآيات القرآنية الضاربة للأمثال، والتي ترمي إلى

(١) «محاسن التأويل» للقاسمي (٤/١٠٦٧ - ١٠٦٨).

إقامة الحجج على المخالفين المحادين لله ورسوله، وإنما قامت الحجة عليهم بها لأنهم فهموا مضمونها، وتفكروا في مغزاها، وأكثرهم أيقن بصدقها وصدق منزلها والمرسل بها؛ فإذا أعرضوا بعد ذلك، لم يكن لإعراضهم سبب سوى الأنفة والاستكبار.. وبئست الصفة.

ولنقتطف بعض الأمثلة السامية التي تدعوا بمضمونها إلى التفكير والتدبر في حقيقة الحياة والكون.

\* قال تبارك وتعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

[الروم].

\* وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

[يونس].

\* وقال عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَبَاطِلَ فِي كُلِّ سَبْطَةٍ مِّائَةٌ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].

\* وقال تعالى: ﴿يَتَّيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ ومثل الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

أَبْتِغَاءَ مَرَضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٥﴾ [البقرة].

\* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَرَابٍ يَّغِيغُهُ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ۖ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ۖ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ بِرَبِّهَا ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور].

\* وقال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئْتُهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة].

\* وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر].  
والأمثلة القرآنية الشريفة غير هذا كثيرة جدًا.

ولما كانت تلك الأمثال الجليلة السامية في غاية الوضوح والبيان كانت متدبرها بصيرًا ومنكرها أعمى.. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام].

رابعاً: العرض التفصيلي لبعض آيات الله تبارك وتعالى:

\* قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَابِ رِزْقًا لَّكُمْ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ۗ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا

نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴿إبراهيم﴾.

\* وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية].

\* وقال سبحانه: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ بَرِيكُكُمْ الْبَرْقِ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم].

\* وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَيُذِيقُكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ

يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لُمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الْأَضْمَةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ \*

[الروم].

\* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ بِسْمِ اللَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيَتْ كُلُّ قَدْعٍ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ يُنْزِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ [النور].

\* وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَضَّلْنَا

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾

[الأنعام].

\* وقال جل وعلا: ﴿المرَّة تلك آية الكتاب والذی أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿١﴾ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم توفقون ﴿٢﴾ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهدا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد].

\* وقال تعالى: ﴿أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿١﴾ ينزل الملكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴿٢﴾ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ﴿٣﴾ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿٤﴾ والأنعم خلقها لكم فيها رفء ومنفع ومنها تأكلون ﴿٥﴾ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴿٦﴾ وتحمل أثقالكم إلى بلد لئلا تكونوا بليغ فيه إلا يشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم ﴿٧﴾ والخنيل والغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴿٨﴾ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهدلكم أجمعين ﴿٩﴾ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم

مِنَهُ شَرَابٌ وَمِنَهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنَبِّئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ  
وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمَنْ كَلَّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ  
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ  
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ  
لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ  
﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ  
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَوَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ  
وَسْبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ الْبَالَغَةَ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ  
كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ  
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴿[النحل].

\* وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهِ  
مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمِرٍ لَبَأًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّرِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ  
نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ  
إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ  
الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ  
شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ  
مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ  
بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ  
أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ

الطَّيَّبَتِ أَفْيَأُ الْبَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴿[النحل].

\* وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاهَا وَأَخْلَأْنَا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمِيَكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴿[عبس].

والآيات المبينة لبعض نعم الله تعالى على عباده أكثر من أن تحصر.. وكلها تنطق بوحدانية الإله العظيم وجلاله وكبريائه وعزته وجماله وحكمته وقدرته، وهي تدعو العباد في نفس الوقت - إلى محبة الرحمن وتعلق القلوب به والتفكير في هذه الدنيا ومصيرها والتطلع للآخرة ونعيمها.

#### خامساً: الاستفهام الاستنكاري:

\* قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَاكُفُرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ قُلٌ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌّ هُمْ فِي شَكِّ مَنِهَا بَلٌّ هُمْ مَنَّاعُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿[النمل].

\* وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَاحِ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غافر].

\* وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْتُمُكُمْ بِالنِّيلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَابِصِحُونَ ﴿٤٤﴾ بَلْ مَعَنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءُهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمْعُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذِرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

\* وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء].

\* وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُغَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْفِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١﴾﴾ [سبا].

\* وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَبْتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا

لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مِّمَّنَّا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴿ق﴾.

\* وقال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾  
 ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾  
 عَلَيَّ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى  
 فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ  
 نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾  
 أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ  
 جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ  
 شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَرِثَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ  
 بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴿الواقعة﴾.

\* وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ  
 رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾  
 [الغاشية].

سادساً: ذم المتغافلين عن آيات الله تعالى:

لقد أكثر الله تبارك وتعالى من ذم الغافلين المتغافلين عن رؤية آياته  
 والتفكير في عظيم آلائه، ومعلوم أن ذم الشيء إشارة إلى أن خلافه هو  
 المطلوب.. ولما كثر ذم الغافلين عن آيات الله دل هذا على أن التفكير أمر  
 مطلوب وللب رب محبوب.

ومن الآيات التي ذم فيها العمي الغافلون ما يلي:

\* قال جل وعلا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ  
 بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي

الضُّدُورِ ﴿٤٦﴾ [الحج].

\* وقال سبحانه: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ [يوسف].

\* وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الحشر].

\* وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أُولَئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الروم].

\* وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ [النساء].

\* وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ [الأعراف].

□ قال الحسن في هذه الآية: «أي: أمنعهم التفكير فيها»<sup>(١)</sup>.

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/٥٣٩) ط: دار ابن عفان.

\* وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ

﴿ ٦٨ ﴾ [المؤمنون].

\* وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا ﴾ [محمد].

\* وقال عن بعض صفات أهل النار: ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ ﴿ ١٠١ ﴾ [الكهف].

أعطاهم الله تعالى عيوناً فأطبّقوها عن رؤية آياته الكونية.. وأعطاهم أسماً فأغلقوها عن الانتفاع بآياته السمعية، فكان جزاؤهم أن أكبّهم على وجوههم صمّاً وعمياناً في دار الويل والشقاء.

\* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي أُخْتِيفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ ٦ ﴾ [يونس].

وفي هذه الآية دليل على أن أهل التقوى هم المتفعلون بآيات الله ﴿عَجَلًا..﴾ أمّا الناكبون عن الصراط، المنحرفون عن طريق الحقّ والرّشاد فلن يلتفتوا إلى آيات ربهم إلا قليلاً، ولن يتأملوا في مخلوقاته إلا نادراً؛ لأنّ قلوبهم منشغلة بباطلها، فلم يعدّ للحقّ فيها موضع.. نسأل الله تعالى العافية.

\* وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ ١٨٥ ﴾ [الأعراف].

\* وقال ﴿عَجَلًا..﴾: ﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿ ١٣ ﴾ [الجاثية].

□ قال الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ: «إنّ ذا الكون كتابٌ مفتوح، يحمل بذاته دلائل الإيمان وآياته، وينطق أنّ وراءه يداً تُدبّره بحكمة، ويوحى بأنّ وراء هذه الحياة الدنيا آخرة وحساباً وجزاء.. وإنّنا يُدرِكُ هذه

الدلائل، ويقرأ هذه الآيات، ويرى هذه الحكمة، ويسمع هذه الإنجاءات: أولو الألباب من الناس، الذين لا يمرُّون بهذا الكتاب المفتوح<sup>(١)</sup> وبهذه الآيات الباهرة مُغْمِضِي الأَعْيُنِ غَيْرَ وَاَعِينِ.

وهذه الحقيقة تُمَثِّلُ أَحَدَ أُسُسِ التَّصَوُّرِ الإسلاميِّ عن هذا الكون والصلَّة الوثيقة بينه وبين فطرة الإنسان، والتفاهم الداخلي الوثيق بين فطرة الكون وفطرة الإنسان، ودلالة هذا الكون بذاته على خالقه من جهة، وعلى الناموس الذي يصرِّفه وما يصاحبه من «غاية، وحكمة، وقصد» من جهة أخرى.. وهي ذات أهمية بالغة في تقرير موقف الإنسان من الكون وإله الكون سبحانه وتعالى.. فهي ركيزة من ركائز التصوُّر الإسلاميِّ للوجود.

والقرآن يوجِّه القلبَ والأنظارَ توجيهًا مكرَّرًا مؤكِّدًا إلى هذا الكتاب المفتوح الذي لا تفتأ صفحاته تُقَلِّبُ، فتبتدئ في كلِّ صفحة آيةً موجِّيةً تستجيبُ في الفطرة السليمة إحساسًا بالحق المستقرِّ في صفحات هذا الكتاب.

### التفكير من أساليب دعوة الأنبياء:

وإن مما يدل على قيمة التفكير وأهميته في حياة الناس أنه من أهم أساليب دعوة أنبياء الله ورسله -عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه.

إن مقام الدعوة إلى الله -جل وعلا- أسمى وأعلى المقامات في هذه الحياة، وأشرف ألوان الاستجابة على الإطلاق أن يستجيب لك الكافر والمنافق والملحد؛ وهم غالبًا لا يؤمنون بهذا القرآن، وقد يؤمنون به باطنًا

(١) أي: الكون.

لكنهم لأسباب عديدة يابون الدخول تحت ظل دوحه الإسلام.  
وقد علمنا الله تعالى كيفية دعوة الصنف الأول خاصة إلى الإسلام،  
هذا الصنف الذي يكفر بالقرآن كلية ولا يؤمن أنه من عند الله **وَجَلَّ**..  
وكان من ألوان الدعوة المؤثرة لهؤلاء الكافرين الدعوة بالتفكر والتأمل في  
مخلوقات رب العالمين.. وهو من المناهج التي سار عليها الأنبياء وكرروها  
تكرارًا حثيثًا.. ولنكتف بدعوة الخليلين الكريمين -عليها صوت الله  
وسلامه-:

**أولاً: دعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام:**

\* قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ (١) السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ (٢) اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا  
رَبِّي (٣) فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا**

(١) الملكوت: الملك والسلطان وما فيه من عجائب المصنوعات.

(٢) أي: ستره وواره.

(٣) اختلف علماء التفسير حول المراد من هذه الجملة.. فذهب بعضهم إلى أن  
إبراهيم عليه السلام عبد الكوكب حتى غاب ثم تركه، ثم بد القمر حتى غاب، ثم  
تركه، ثم عبد الشمس حتى غابت، ثم تركها.. وقال آخرون: بل كان هذا في  
مرحلة الطفولة قبل البلوغ.. وقال آخرون: بل المقصود: «أهذا ربِّي؟» استنكاراً  
منه.. وقال آخرون: بل المراد من هذا مناظرة المشركين وإقامة الحجة العقلية  
عليهم أن هذه المخلوقات لا تصلح للعبادة.. وهذا القول الأخير هو الصواب  
عندي والذي قبله جيد.. والذي اختاره الكثير من الأئمة.. وأنكر الأقوال  
وأبعدها عن الصواب هو الأول؛ فإبراهيم عليه السلام لم يكن في يوم من الأيام مشركاً  
كما قال تعالى عنه: ﴿ **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾.. وأبعد من هذا كله أن البعض  
قال: إن قائل جملة: ﴿ **هَذَا رَبِّي** ﴾ هو آزر، فردّ عليه إبراهيم عليه السلام ﴿ **لَا أُحِبُّ**

رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى  
السَّمْسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَلْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا  
تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا  
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ [الأنعام].

لقد وقف إبراهيم عليه السلام مع قومه -كغيره من الأنبياء- موقف  
الناصح الأمين المشفق عليهم من عذاب ربهم العظيم، وحاول معهم بكل  
السبل ليجرهم بعيداً عن نيران الجحيم، وكانت المناظرات العقلية -التي  
تقر وتعترف بها العقول السليمة- من أهم أساليب دعوته المباركة.

ففي هذه الآيات أراد عليه السلام إقناع عباد الكواكب أنها لا تصلح  
للألوهية لأنها جميعاً تتفق في الغياب عن الأنظار، وبعضها يتناقض مع  
مرور الأيام حتى يختفي بالكلية، فكيف لمثل هذه المخلوقات الناقصة ذات  
المنافع المحدودة أن تُعبد من دون فاطرها وخالقها؟! بل إن ثبوتها على  
منهج واحد وتحركها في مسار محدد يمنع كونها آلهة تعبد، بل يدل هذا على  
أن هناك من يسيرها ويوجهها ويأمرها ألا تخالف النهج الذي اختطه  
لها<sup>(١)</sup>.

كل هذا من باب الدعوة إلى الله تعالى بالتفكر في مصنوعاته،  
والاستدلال بها على أعظم علم وهو العلم بالخالق تبارك وتعالى.

الآفِلِينَ ﴿٧٩﴾ .. وهذا تكلف ظاهر.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٤٧/٩)، «تفسير القرطبي» (٢٥/٧)، «بدائع التفسير»

(٢/١٥١)، «تفسير ابن كثير» (٩٣/٦)، «الدر المنثور» (١٠١/٦)، «محاسن

التأويل» (٣٤٧/٣)، «في ظلال القرآن» (١١٣٧/٢)، «تيسير الكريم الرحمن»

(١/٤٨٦)، «الملل والنحل» للشهرستاني.

ثانياً: دعوة الحبيب محمد ﷺ مع قومه:

• عن أبي رزين رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كيف يُحيي الله الموتى؟ فقال: «أما مررت بالوادي مُحملاً<sup>(١)</sup>، ثم عمر<sup>(٢)</sup> به خضراً؟» قلت: بلى. قال: «كذلك يُحيي الله الموتى».

• وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه: أتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، كيف يُحيي الله الموتى؟ قال: «أما مررت بأرضٍ من أرضك مُجدبة، ثم مررت بها مُخصبة؟» قلت: نعم. قال: «كذلك النُّشور»<sup>(٣)</sup>.

• ومن روائع ألوان دعوة الرسول ﷺ للمُخالفين له أنه كان يدُهم على الإيمان بربهم من خلال التأمل في الآيات الكونية فإنه لما جاء رسول الله ﷺ رجلٌ، فقال له: تدعوني إلى جنّة عرضها السماوات والأرض

(١) ممحلاً: أي مُجدباً.

(٢) أي: مررت. وهذا تعبير عربي صحيح، أن يأتي فعل ماضٍ، ثم يعطف عليه بفعل مضارع، ويكون المضارع في معنى الماضي.. وانظر هذا في النحو الوافي للعلامة النحوي البارع عباس حسن رحمته الله.

(٣) حسن: رواه أحمد والطبراني.. وحسنه العلامة الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٣٣٤).. وللحديث بقية، وهي: «قلت: يا رسول الله، وما الإيمان؟ قال: أن تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحرق بالنار أحب إليك من أن تشرك بالله، وأن تُحب غير ذي نسبٍ لا تحبهُ إلا الله ﷻ، فإذا كنت كذلك فقد دخل حبُّ الإيمان في قلبك كما دخل حبُّ الماء للظمان في اليوم القاطئ. قلت: يا رسول الله كيف لي بأن أعلم أنني مؤمن؟ قال: «ما من أمتي عبد يعمل حسنة، فيعلم أنها حسنة، وأن الله ﷻ جازيه بها خيراً، ولا يعمل سيئة، فيعلم أنها سيئة، واستغفر الله ﷻ منها، ويعلم أنه لا يغفر إلا هو، إلا وهو مؤمن».

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ فقال رسول الله: «سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار؟!..» الحديث (١).

والأمثلة بلا ريب كثيرة وفيرة.. والمقصود منها أن نعلم أن التفكير والتأمل في آيات الكون البديع من أنفع وأقرب وسائل الدعوة إلى الله تعالى، ولا سيما أنها تعتمد على البدهيات العقلية التي لا ينكرها العقل السليم أيًا كانت نحلة صاحبه ومذهبه.

وبهذا السبيل المضمون يمكننا جميعًا أن ندعو الكفار إلى الإسلام، ونترجم معهم في بيان أحقية إله العالمين وحده بالعبادة دون كل من وماء سواه ﷺ وتقدست أسماؤه (٢).

### علو همة الرسول ﷺ في التفكير:

• عن عطاء قال: دخلتُ أنا وعبيدُ بنُ عمير على عائشة رضي الله عنها، فقالت: لعبيد: قد آن لك أن تزورنا! فقال: أقول -يا أمه- كما قال الأول: «زُرْ غِبًّا تَزُدُّ حُبًّا» (٣).

فقالت: «دَعُونَا مِنْ رَطَائِنِكُمْ هَذِهِ» (٤).

(١) صحيح: رواه أحمد.

(٢) انظر «الكلمات القيمة» للشيخ الدكتور عمر الأشقر في رده على شبهة القائلين: كيف ندعو بالقرآن من لا يؤمن بالقرآن في كتابه القيم «العقيدة في الله».

(٣) معنى: «زُرْ غِبًّا تَزُدُّ حُبًّا»، أي: زُرْ بَيْنَ يَوْمٍ وَأَخَرَ يَزِدُّ حُبًّا صَاحِبِكَ لَكَ.. وَلَا تَزُرْهُ كُلَّ يَوْمٍ فَيَمَلُّ وَيَسْأَمُ. وأودُّ التنبية على أن هذا الكلام جاء من حديث النبي ﷺ، رواه الطبراني والبخاري، وهو حديث حسن بطرقه وشواهد.. انظر «صحيح الجامع».

(٤) أي: من تبريراتكم هذه.

فقال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيت من رسول الله ﷺ، فسكتت، ثم قالت عليها السلام: لما كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي». فقلت: والله إنني لأحبُّ قُربك، وأحبُّ ما يسرك.. فقام، فتطهر، ثم قام يُصلي؛ فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره؛ ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ لحيته؛ ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلائٌ يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟! لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١٠﴾» [آل عمران] (١).

□ وقد قيل للإمام الأوزاعي عن هذه الآيات: «ما غاية التفكّر فيهن؟ فقال: يقرؤهن وهو يعقلهن» (٢).

□ وثبت أن رسول الله ﷺ كان يذهب إلى حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد. هذا قبل بعثته ﷺ.

□ وثبت عنه ﷺ أنه «كان كثير النظر إلى السماء» (٣).

• وقال رسول الله ﷺ: «لا تتفكّروا في ذات الله، وتفكّروا في خلق الله» (٤).

(١) صحيح: رواه ابن حبان (٢/٣٨٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/٣٠٥)، و«الدر المنثور» (٤/١٨٢).

(٣) جزء من حديث رواه مسلم.

(٤) حسن: رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، وحسنه الألباني في «الصحيحة».. وقال العلامة القاسمي في «محاسن التأويل» (٢/١٩٣) - ط: «التاريخ العربي»: له

## وهاكم طائفة من أقوال السلف الصالح:

□ عن مُحَمَّد بنِ واسع: «أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أمّ ذر - بعدما مات أبو ذرّ-، فسألها عن عبادة أبي ذرّ.. فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكّر».

□ وعن عَوْن بن عبد الله بن عتبة قال: «سألت أمّ الدرداء. ما كان أفضل عملٍ أبي الدرداء؟ قالت: التفكّر والاعتبار».

□ وعن الحسن قال: «تفكّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة»<sup>(١)</sup>.

□ وقال أيضاً: «من لم يكن كلامه حكمةً فهو لغو.. ومن لم يكن سكوته فكراً فهو سهو.. ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو هُو».

□ وقال بعض السلف: «كونوا في الدنيا أضيافاً، واتخذوا المساجد بيوتاً، وعودوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكّر والبكاء، ولا تختلفنّ بكم الأهواء.. تبون ما لا تسكنون! وتجمعون ما لا تأكلون! وتأمّلون ما لا تدركون!!».

□ وعن الفضيل قال: «الفكرةُ مرأةٌ تُريك حسناتك وسيئاتك».

□ وكان لقمان يُطيلُ الجلوسَ بمفرده، ف قيل له: «إنك تُكثرُ الجلوسَ وحدك! فلو جالستَ الناسَ كان أنسَ لك.. فقال: إنَّ طولَ الوحدةِ أفهمٌ للفكر، وطولُ الفكرِ طريقٌ من طرقِ الجنة».

شواهد كثيرة.. والحديث ضعفه العلامة شعيب الأرناؤوط في «تحقيق الآداب الشرعية» للإمام ابن مفلح وورد موقوفاً على ابن عباس كما في «الدر المنثور» (٤/١٨٠، ١٨١).

(١) «الحلية» (٦/٢٧١).

□ وقال وهبُ بنُ مُنبِّهٍ: «ما طالت فكرةُ امرئٍ قطُّ إلا عَلِمَ.. وما عَلِمَ امرؤٌ قطُّ إلا عَمِلَ».

□ وقال عمر بن عبد العزيز: «الكلام بذكر الله حسن، والفكرة في نعم الله عَزَّ وَجَلَّ أفضل العبادَة»<sup>(١)</sup>.

□ وقال أيضًا: «اعلم أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه».

□ وعن بكر بن خنيس قال: قلت لسعيد بن المسيب -وقد رأيت أقوامًا يصلون ويتعبدون-: «يا أبا محمد، ألا تتعبد مع هؤلاء القوم؟ فقال لي: يا ابن أخي، إنها ليست بعبادة. قلت له: فما التعبد يا أبا محمد؟ قال: التفكير في أمر الله، والورع عن محارم الله، وأداء فرائض الله تعالى».

□ وقال صالحُ بنُ مُحَمَّدِ اللَّيْثِيِّ: «كان فتيةٌ من بني ليثٍ يَخْتَلِفُونَ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَصُومُونَ، وَيَقُومُونَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَقُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: يَا أبا مُحَمَّدٍ، مَا يَمْنَعُنَا أَنْ نَفْعَلَ كَمَا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ اللَّيْثِيُّونَ؟ فَقَالَ: اسْكُتْ، فَإِنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ لَيْسَتْ بِالصَّوْمِ وَلَا بِالصَّلَاةِ، وَلَكِنْ بِالْفَقْهِ فِي دِينِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي أَمْرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

□ وعن كعب قال: «من أراد أن يبلغ شرف الآخرة، فليكثر التفكير يكن عالمًا».

□ وقال عبد الله بن المبارك يومًا لسهل بن علي -وقد رآه صامتًا متفكرًا-: «أين بلغت؟ فقال: الصراط».

(١) «الحلية» (٥/٣١٤).

(٢) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (١/١١٨).

- وقال بشر: «لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوه قط».
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ».
- وبينما أبو شريح يمشي يومًا إذ جلس، ثم بكى بكاءً شديدًا.. فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «تفكرت في ذهاب عمري، وقلة عملي، واقتراب أجلي».
- وقال أبو سليمان: «عودوا أعينكم البكاء، وقلوبكم التفكير»<sup>(١)</sup>.
- وعن أبي عاصم بن يزيد قال: «ربما كان يأخذ سفيان في التفكير، فينظر إليه الناظر، فيقول: مجنون».
- وعن سفيان بن عيينة قال: «التفكر مفتاح الرحمة، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب».
- وعنه أنه كان يتمثل:
- إذا المرء كانت له فكرة      ففي كل شيء له عبرة<sup>(٢)</sup>
- عن مغيث قال: «بينما رجل -ممن كان قبلكم- يسير وحده، إذ تفكر فيما سلف من ذنوبه -وكان يعمل بالمعاصي-، فقال: اللهم غفرانك.. فأدركه الموت على تلك الحال، فغفر له».
- وعن يوسف بن سعيد بن مسلم قال: «قلت لعلي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم كثير الصلاة؟ قال: لا؛ ولكنه صاحب تفكر يجلس ليله يتفكر».

(١) «الحلية» (٩/٢٧٤).

(٢) «الحلية» (٧/٣٠٦).

□ وجاء في بعض الكتب السابقة: «وعلى العاقل أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب».

□ «وقيل لإبراهيم بن أدهم: «إن تطيل الفكرة! فقال: الفكرة مخ العقل».

□ وقال الحسن: «طول الوحدة أتم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق الجنة».

□ وقال وهب: «ما طالت فكرة أحد قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل».

□ وقال أبو سليمان: «الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة، وعقوبة لأهل الولاية؛ والفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتحيي القلوب».

□ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «التفكر في الخير يدعو إلى العلم به».

□ وقال الحسن: «إن أهل العلم لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر، والفكر على الذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة».

□ وقال الشافعي رحمته الله: «استعينوا على الكلام بالصمت، وعلى الاستنباط بالفكرة».

□ قال الإمام ابن القيم معلقاً: «وهذا لأن الفكرة عمل القلب، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف من الجوارح، فكان عمله أشرف من عمل الجوارح».

وأيضاً فالتفكر يوقع صاحبه من الإيمان على ما لا يوقعه العمل المجرد؛ فإن التفكير يوجب له من انكشاف حقائق الأمور وظهورها له،

وتتميز مراتبها في الخير والشر، ومعرفة مفضولها من فاضلها، وأقبحها من قبيحها، ومعرفة أسبابها الموصلة إليها، وما يقاوم تلك الأسباب ويدفع موجبها، والتميز بين ما ينبغي السعي في تحصيله وبين ما ينبغي السعي في دفع أسبابه والفرق بين الوهم والخيال المانع لأكثر النفوس من انتهاز الفرص بعد إمكانها وبين السبب المانع حقيقة، فيشتغل به دون الأول.

فما قطع العبد عن كماله وفلاحه وسعادته العاجلة والآجلة قاطع أعظم من الوهم الغالب على النفس والخيال الذي هو مركبها بل بحرهما- الذي لا تنفك سابحة فيه، وإنما يقطع هذا العارض بفكرة صحيحة وعزم صادق يميز به بين الوهم والحقيقة»<sup>(١)</sup>.

□ وقال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «همة المؤمن متعلقة بالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلى ذكر الآخرة، وكل من شغله شيء فهمته شغله. ألا ترى أنه لو دخل أرباب الصنائع إلى دار معمورة رأيت البزاز ينظر إلى الفرش، ويحرز قيمته، والنجار ينظر إلى السقف، والبناء إلى الحيطان، والحائك إلى النسيج المخيط!.

والمؤمن إذا رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر<sup>(٢)</sup>، وإن رأى مؤلماً ذكر

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/٥٣٨ - ٥٤٠).

(٢) كما ورد عن الإمام الجبل عبد الله بن المبارك أنه كان مع بعض أصحابه يوماً، فانظفوا السراج، فخرج أحدهم ليحضر سراجاً آخر، فلماً جيء بالمصباح وجدوا عينيه تدرقان الدموع.. وذلك لأنه تذكر ظلمة القبر.. انظر: مقدمة «الزهد والرفائق» للإمام ابن المبارك (١٥ - ط: دار العقيدة)، بتحقيق الشيخ الحبيب أحمد فريد.

العقاب<sup>(١)</sup>، وإن سمع صوتًا فظيغًا ذكر نفخة الصور، وإن رأى الناس نيامًا ذكر الموتى في القبور، وإن رأى لذة ذكر الجنة، فهمته متعلقة بما ثم، وذلك يشغله عن كل ما تم.

وأعظم ما عنده أنه يتخايل دوام البقاء في الجنة، وأن بقاءه لا ينقطع ولا يزال ولا يعتره منغص، فيكاد إذا تخايل نفسه متقبلًا في تلك اللذات الدائمة التي لا تفتنى يطيش فرحًا، ويسهل عليه ما في الطريق إليها من ألم ومرض وابتلاء وفقد محبوب وهجوم الموت ومعالجة غصصه؛ فإن المشتاق إلى الكعبة يهون عليه رمل زرود، والتائق إلى العافية لا يبالي بمرارة الدواء، ويعلم أن جودة الثمر، ثم على مقدار جودة البذر هاهنا.. فهو يتخير الأجود ويغتنم الزرع في تشرين العمر من غير فتور، ثم يتخيل المؤمن دخول النار والعقوبة، فيتغنص عيشه ويقوى قلقه.. فعنده بالحالين شغل عن الدنيا وما فيها.. فقلبه هائم في بيداء الشوق تارة، وفي صحراء الخوف أخرى، فما يرى البنيان.

فإذا نازله الموت قوي ظنه بالسلامة، ورجا لنفسه النجاة، فيهون عليه.

فإذا نزل إلى القبر وجاءه من يسألونه قال بعضهم لبعض: دعوه، فما استراح إلا الساعة.

نسأل الله ﷻ يقظة تامة تحركنا إلى طلب الفضائل، وتمنعنا من اختيار الرذائل؛ فإنه إن وقَّ، وإلا، فلا نافع» انتهى<sup>(٢)</sup>.

(١) كما يحكي عن طاووس رَحِمَهُ اللهُ أنه كان إذا مر برجل يشوي رؤوس الأغنام كان يغشى عليه ولا يقدر أن يتعشى هذا اليوم.. وما ذاك إلا لأنه تذكر أهل النار حين تشوي رؤوسهم في نار الجحيم عيادًا بالرب الرحيم.

(٢) «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ص ٦٤٤، ٦٤٥) ط. ابن خزيمة.

□ وقال أبو سليمان الداراني: «إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء، إلا رأيت لله فيه علي نعمة، وليس فيه عبرة».

□ وقال سفيان بن عيينة: «الفكرة نور يدخل القلب».

□ وقال عيسى: «طوبى لمن كان قبيلُه تذكراً، وصمته تفكراً، ونظره عبراً».

□ وقال لقمان: «إن طول الوحدة أهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق أبواب الجنة».

□ وقال مغيث بن الأسود: «زوروا القبور تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين، إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها.. وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعاً من بين أصحابه قد ذهب عقله».

□ وقال بعض الحكماء: «من نظر إلى الدنيا بغير العبرة، انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة».

□ وقال غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم: «إن ضياء الإيمان التفكر».

□ وقال عيسى: «يا ابن آدم الضعيف، اتق الله حيثما كنت، وكن في الدنيا ضيفاً، واتخذ المسجد بيتاً، وعلم عينيك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد».

□ وقال الشاعر:

لذة المؤمن العبر	نزهة المؤمن الفكر
نحن كل على خطر	نحمد الله وحده
ق المنى مونق الزهر	رب عيش قد كان فو

في خريـر من العيو  
وسرور من النبا  
غيرته وأهله  
نحمد الله وحده  
إن في ذا العبرة  
لليـت إن اعتبر<sup>(١)</sup>

ن وظل من الشجر  
ت وطيب من الثمر  
وسرعة الدهر بالغير  
إن في ذا المعـبر

□ وعاتبـت امرأة صهيب الرومي رضي الله عنه زوجها في كثرة السهر، فقال لها: «إن صهيباً إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه»<sup>(٢)</sup>.

□ وقال قتادة: «من تفكر في خلق نفسه علم أنه إنما خلق وليت مفاصله للعبادة»<sup>(٣)</sup>.

□ وقال بعض الحكماء: «أحي قلبك بالمواعظ، ونوره بالفكر، وموته بالزهد وقوه باليقين، وذلاه بالموت، وقرره بالفناء، وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام، واعرض عليك أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله، وسر في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا، وأين حلوا، وعم انقلبوا».

□ وقال الشاعر:

يا من يصيخ إلى داعي الشقاء وقد  
إن كنت لا تسمع الذكرى فقيم ترى

نادى به الناعيان: الشيب والكبر  
في رأسك الواعيان: السمع والبصر؟

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٢٩٥) ط - أولاد الشيخ.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/١١٦).

(٣) المصدر السابق (١٣/٢١٦).

ليس الأصمُّ ولا الأعمى سوى رجلٍ  
لا الدهرُ يبقى ولا الدنيا ولا الفلكُ الـ  
لم يهده الهاديان: العينُ والأثرُ  
أعلى ولا النيرانُ الشمسُ والقمرُ  
ليرحلنَّ عن الدنيا وإن كرهها  
فراقها الثاويان: البيدُ والحَضْرُ (١)

لله درّ سلفنا الصالح:

كقد اعتنى سلفنا الصالح بعبادة التفكر عناية عظيمة، وخصت بها بعض المؤلفات النفيسة، وكل هذا يدل على معرفة هؤلاء الأفاضل بقيمة هذه العبادة في التعلق بالرب العظيم وحبه والاستقامة على دربه.. ولناخذ بعض الأقوال والأحوال من سيرتهم العطرة:

□ فيها هو الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُسأل عن أدلة وجود الله تعالى، فيستدلُّ على ذلك باختلاف النغمات واللغات والأصوات.

□ والإمام أبو حنيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جاءه بعض الزنادقة، وسألوه عن دليل يَدُهُم على وجود الربِّ العظيم.. فقال لهم: «دعوني الآن، فإني أفكر في أمرٍ مُحيرٍ. فقالوا له: وما هو؟ قال: أخبروني أن هناك سفينةً في البحر مُحَمَّلةً بأنواع البضائع، وليس فيها أحدٌ يجرُّسها ولا يقودها، وهي مع ذلك تذهبُ وتجيءُ وتسيرُ بنفسها وتخرقُ الأمواجَ العظامَ حتى تتخلصَ منها، ثم تضعُ بضائعها بنفسها في البلاد.

فقالوا له مُندهشين: هذا لا يمكنُ أن يحدث، ولا يقوله عاقلٌ!!

فقال لهم: ويحكم!! فهذه الموجوداتُ بما فيها من العالم العلويِّ والسفليِّ وما اشتملت عليه من الأشياء المحكَّمة، أليس لها صانعٌ!!

(١) «تفسير ابن كثير» (١٠/٧٩، ٨٠).

فتأبوا جميعاً، واسلموا على يديه.

□ والإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، سئل عن دليل على وجود الله تعالى، فقال: «هذه ورقة توت، تأكله الدودُ فيخرج منها الحرير، وتأكله النحل فيخرج منها العسل، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فيخرج منها البعر والروث، وتأكله الطباء فيخرج منها المسك.. كل هذا والتوت شيء واحد!!».

□ والإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ سئل عن نفس الشيء، فقال: لدينا حصنٌ حصينٌ أملس، ليس له بابٌ ولا منفذٌ ظاهر، وهو كالفضة بيضاء، وباطنه من الداخل كالذهب الخالص.. وبينما هو كذلك إذ انشق جداره، فخرج منه حيوانٌ سميعٌ بصيرٌ ذو شكلٍ حسنٍ وصوتٍ مليحٍ. ويقصدُ الإمام بهذا كله: البيضة والطار.

□ وسئل أحدُ الأعراب عن دليل على وجودِ الله تعالى، فقال: سبحان الله!! سماءٌ ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذاتُ فجاج، وبحارٌ ذاتُ أمواج.. ألا يدلُّ ذلك على وجودِ اللطيف الخبير؟!.

إلى غير ذلك من الأخبار التي تُبينُ أن أهل الإيمان كانوا يسلكون في دعوتهم ومناظرة غيرهم مسلك التفكير في آيات الله عَزَّوَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

### تفكر يؤدي إلى المعاينة واليقين:

□ عن جعفر بن سليمان قال: سمعت خليفة العبد يقول: «لو أن الله لم يُعبد إلا عن رؤية ما عبده أحد؛ ولكن المؤمنون تفكروا في مجي هذا الليل إذا جاء، فملاً كل شيء، وغطى كل شيء، وفي مجي سلطان النهار إذا جاء، فمحا سلطان الليل؛ وفي السحاب المسخر بين السماء والأرض، وفي

(١) انظر «معارج القبول» للشيخ حافظ حكيمي (١/١٣٥) ط: دار ابن الجوزي.

النجوم، وفي الشتاء، وفي الصيف؛ والله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم، حتى أيقنت قلوبهم بربهم؛ وحتى كأننا عبدوا الله تعالى عن روية»<sup>(١)</sup>.

□ كان عتبة الغلام يستقبل القبلة فلا يزال في فكرٍ وبكاءٍ حتى يُصبح.

### علوهمّة سفيان الثوري في التفكر:

□ عن يوسف بن أسباط قال: «كان سفيان من شدة تفكره يبول دمًا»<sup>(٢)</sup>.

□ وعن يوسف بن أسباط قال: «قال لي سفيان الثوري - وأنا وهو في المسجد - يا يوسف، ناولني المطهرة أتوضأ؛ فناولته، فأخذها بيمينه، ووضع يساره على خدّه، ونمت؛ فاستيقظت، وقد طلع الفجر، فنظرت إليه، فإذا المطهرة في يده على حالها؛ فقلت: يا أبا عبد الله، قط طلع الفجر؛ قال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة إلى هذه الساعة»<sup>(٣)</sup>.

□ وعن أبي عاصم بن يزيد قال: «ربما كان سفيان يأخذ في التفكر، فينظر إليه الناظر، فيقول: مجنون»<sup>(٤)</sup>.

□ عن سلام قال: «أتى الحسن بكوز من ماء ليفطر عليه، فلما أدناه إلى فيه بكى؛ وقال: ذكرت أمنية أهل النار وقولهم: ﴿أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ وذكرت ما أجيبوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]»<sup>(٥)</sup>.

(١) «حلية الأولياء» (٦/٣٠٣).

(٢) «حلية الأولياء» (٧/٢٣).

(٣) المصدر السابق (٧/٥٣).

(٤) «الحلية» (٦/٣٩٢).

(٥) المصدر السابق (٦/١٨٩).

□ وعن سليمان بن إدريس المقرئ قال: «اشتهد الحسن بن صالح سمكة، فلما أُتِيَ بها، ومدَّ يده إلى سُرَّة السمكة، فاضطربت يده، أمر به فرُفِع، ولم يأكل منه شيئاً؛ ف قيل له في ذلك. فقال: إني ذكرت لما ضربت بيدي: أن أولما يتتن من الإنسان بطنه، فلم أقدر أن أذوقه»<sup>(١)</sup>.

□ وعن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: «رأيت داود الطائي، قائماً على شاطئ الفرات مبهوتاً؛ فقلت: يا أبا سليمان، ما يوقفك هنا؟ قال: انظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

□ ومَرَّ الربيع بن أبي راشد برجل به زمانة، فجلس يحمد الله ويبكي، فمرَّ به رجل، فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: «ذكرت أهل الجنة وأهل النار، فشبهت أهل الجنة بأهل العافية، وأهل النار بأهل البلاء؛ فذلك الذي أبكاني»<sup>(٣)</sup>.

□ وعن الحسن بن صالح قال: «إن لقمان لما قال لابنه: ﴿إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [لقمان: ١٦]، تفكَّر، فمات»<sup>(٤)</sup>.

□ وقال أبو سليمان الداراني: «رُدَّ سبيل العُجب: بمعرفة النَّفس، وتخلُّص إلى إجماع القلب: بقلَّة الخطأ، وتعرُّض لرقعة القلب: بمجالسة أهل الخوف، واستجلب نور القلب بدوام الحُزن، والتمس باب الحزن: بدوام الفكرة، والتمس وجوه الفكرة في الخلوات»<sup>(٥)</sup>.

(١) «الحلية» (٧/٣٢٨).

(٢) «الحلية» (٧/٣٥٧).

(٣) «الحلية» (٥/٧٨).

(٤) «الحلية» (٧/٣٣٠).

(٥) «الحلية» (٩/٢٦٦).

□ وعن وهب بن منبه قال: «ألم يفكر ابن آدم، ثم يتفهّم ويعتبر، ثم يبصر، ثم يعقل ويتفقّه حتى يعلم»<sup>(١)</sup>.

□ وقال الإمام الهروي صاحب «منازل السائرين» عن «الفكرة»: «هي تلمّس البصيرة لاستدراك البغية».

□ وقال ابن القيم معلّقاً: «أي التماس العقل المطلوب بالتفتيش عليه».

□ قال الهروي: «وهي ثلاثة أنواع: فكرة في عين التوحيد، وفكرة في لطائف الصّنعَة، وفكرة في معاني الأعمال والأحوال».

□ قال ابن القيم: «قلتُ: الفكرة فكرتان: فكرة تتعلّق بالعلم والمعرفة، وفكرة تتعلّق بالطلب والإرادة».

فالتي تتعلّق بالعلم والمعرفة: فكرة التمييز بين الحق والباطل، والثابت والمنفي. والتي تتعلّق بالطلب والإرادة: هي الفكرة التي تُتميِّز بين النافع والضار.

ثم يترتّب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع، فيسلكها، والطريق إلى ما يضرّ فيتركها.

فهذه ستة أقسام لا سابع لها، هي مجال أفكار العقلاء. فالفكرة في التوحيد: استحضار أدلّته، وشواهد الدلالة على بطلان الشرك واستحالته، وأن الإلهية يستحيل ثبوتها لاثنين، كما يستحيل ثبوت الربوبية لاثنين. فكذلك من أبطل الباطل عبادة اثنين، والتوكل على اثنين، بل لا تصح العبادة إلّا للإله الحق، والرب الحق، وهو الله الواحد القهار» اهـ<sup>(٢)</sup>.

(١) «الحلية» (٤/٢٣ - ٢٤).

(٢) «مدارج السالكين» (١/١٤٦) ط. أنصار السنّة.

□ عن ذي النون قال: «لا يتفكر القلب لغير الله، إلا إذا كان عليه عقوبة»<sup>(١)</sup>.

□ وقال: «تُنال المعرفة بالنظر في الأمور كيف دبرها؟ وفي المقادير: كيف قدرها؟ وفي الخلائق: كيف خلقها؟»<sup>(٢)</sup>.

□ قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله وَجَّهَهُ قَدْ صَنَّفَ هذه المخلوقات فأحسن التركيب وأحكم الترتيب، ثم عرضها على الأبواب؛ فأَيُّ لُبٍّ أوغل في النظر، مُدِح على قدر فهمه.

وكذلك أنزل القرآن يحتوي على عجائب الحِكم؛ فمن فَتَشَهُ بيد الفهم وحادثه في خلوة الفِكر؛ استجلب رضى المتكلم به، وحَظِيَ بالزُّلْفَى لديه، ومَن كان ذهنه مُسْتَعْرِقَ الفهم بالحِسيَّات؛ صُرِفَ عن ذلك المقام».

\* قال الله وَجَّهَهُ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

### أصل الخير من قبل التفكير:

«أصل الخير والشرِّ من قبل التفكير؛ فإنَّ الفِكرَ مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والتَّرك والحُبِّ والبغض، وأنفع الفكر الفِكرُ في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفسد المعاد، وفي طرق اجتنابها.

ويليها أربعة: فِكرٌ في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفسد الدنيا وطرق الاحتراز منها.

فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء.

(١) «حلية الأولياء» (٩/٣٨٣).

(٢) المصدر السابق.

□ ورأس القسم الأوَّلِ الْفِكْرُ فِي آلاءِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَطُرُقِ الْعِلْمِ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ كِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَمَا وَالَاهُمَا.

وهذا الْفِكْرُ يُثْمِرُ لِصَاحِبِهِ الْمَحَبَّةَ وَالْمَعْرِفَةَ، فَإِذَا فَكَّرَ فِي الْآخِرَةِ وَشَرَفَهَا وَدَوَامِهَا، وَفِي الدُّنْيَا وَخَسَّتْهَا وَفَنَاءَتْهَا: أَمَرَ لَهُ ذَلِكَ الرَّغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ وَالزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا، وَكُلَّمَا فَكَّرَ فِي قِصْرِ الْأَمَلِ وَضَيْقِ الْوَقْتِ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ الْجَدَّ وَالاجْتِهَادَ وَبَدَّلَ الْوُسْعَ فِي اغْتِنَامِ الْوَقْتِ.

وهذه الْأَفْكَارُ تُعَلِّي هِمَّتَهُ وَتُحْيِيهَا بَعْدَ مَوْتِهَا وَسُفُولِهَا، وَتَجْعَلُهُ فِي وَادٍ وَالنَّاسَ فِي وَادٍ<sup>(١)</sup>.

فِي نَفْسٍ:

«الْخُلُوةُ الْخُلُوةُ! وَاسْتَحْضِرِي قَرِينَ الْعَقْلِ، وَجُودِي فِي حَيْرَةِ الْفِكْرِ، وَاسْتَدْرِكِي صُبَابَةَ<sup>(٢)</sup> الْأَجْلِ، قَبْلَ أَنْ تَمِيلَ بِكَ الصَّبَابَةُ عَنِ الصَّوَابِ»<sup>(٣)</sup>.

□ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرَّبُّ تَعَالَى يَدْعُو عِبَادَهُ فِي الْقُرْآنِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ طَرِيقَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: النَّظْرُ فِي مَفْعُولَاتِهِ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّانِي: التَّفَكُّرُ فِي آيَاتِهِ وَتَدْبُّرُهَا، فَتَلِكَ آيَاتُهُ الْمَشْهُودَةُ، وَهَذِهِ آيَاتُهُ الْمَسْمُوعَةُ الْمَعْقُولَةُ.

(١) «الفوائد» لابن قيم الجوزية، وانظر «فوائد الفوائد» (ص ٣٤٨ - ٣٤٩).

(٢) صُبَابَةُ الْأَجْلِ: الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَةُ مِنَ الْعُمُرِ. وَالصَّبَابَةُ: الْأَهْوَاءُ.

(٣) «صيد الخاطر» (ص ٣٤١ - ٣٤٢).

(٤) أي: مَا هُوَ مَفْعُولٌ لَهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ مِنْ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ.

فالنوع الأول كقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

وهو كثير في القرآن.

والثاني: كقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وقوله: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].

وهو كثير أيضا.

فأما المفعولات؛ فإنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات؛ فإن المفعول يدل على فاعل فعله، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيتته وعلمه؛ لاستحالة صدور الفعل الاختياري<sup>(١)</sup> من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة.

ثم ما في المفعولات من التخصيصات المتنوعة: دال على إرادة الفاعل، وأن فعله ليس بالطبع؛ بحيث يكون واحداً غير متكرر.

وما فيها من المصالح والحكم والغايات المحمودة: دال على حكمته تعالى.

وما فيها من النفع والإحسان والخير: دال على رحمته.

(١) الذي يفعله متى شاء كيف شاء.

وما فيها من البطشِ والانتقامِ والعقوبةِ: دالٌّ على غضبه.  
وما فيها من الإكرامِ والتقريبِ والعنايةِ: دالٌّ على محبته.  
وما فيها من الإهانةِ والإبعادِ والخذلانِ: دالٌّ على بُغْضِهِ ومَقْتِهِ.  
وما فيها من ابتداءِ الشيءِ في غايةِ النَّقصِ والضعفِ: ثمَّ سَوَّقَهُ إلى تمامِهِ  
ونهايتهِ دالٌّ على وقوعِ المعادِ.

وما فيها من أحوالِ النَّباتِ والحيوانِ وتَصْرِيفِ المِياهِ: دليلٌ على إمكانِ  
المعادِ.

وما فيها من ظُهورِ آثارِ الرَّحمةِ والنعمةِ على خلقِهِ: دليلٌ على صحَّةِ  
النَّبواتِ.

وما فيها من الكمالاتِ التي لو عُدِمَتْها كانت ناقصةً: دليلٌ على أَنَّ  
مُعْطِيَ تلكَ الكمالاتِ أَحَقُّ بها.

.. فمفعولاتُهُ من أدلِّ شيءٍ على صفاتِهِ، وصدقِ ما أَخبرتْ به رُسُلُهُ  
عنه.

**فالمصنوعاتُ شاهدةٌ تُصدِّقُ الآياتِ المسموعاتِ، مُنبِّهةٌ على الاستدلالِ  
بالآياتِ المصنوعاتِ:**

\* قال تعالى: ﴿سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ  
أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، أي: أَنَّ القرآنَ حقٌّ، فأخبرَ أَنَّهُ لا بدَّ أَنْ يُريَهُم  
من آياتِهِ المشهودةِ ما يُبيِّنُ لهم أَنَّ آياتِهِ المتلوَّةَ حقٌّ.

ثمَّ أَخبرَ بكفايةِ شهادتِهِ على صحَّةِ خبرِهِ؛ بما أَقامَ من الدلائلِ  
والبراهينِ على صدقِ رِسالِهِ.

فآياتُهُ شاهدةٌ بصدقِهِ، وهو شاهدٌ بصدقِ رِسالِهِ بآياتِهِ، فهو الشاهدُ

والمشهودُ له، وهو الدليل والمدلولُ عليه، فهو الدليلُ بنفسِهِ، كما قال بعضُ العارفين: كيفَ أطلبُ الدليلَ على مَنْ هو دليلٌ لي على كلِّ شيءٍ؟ فأبى دليلٌ طلبتُهُ عليه فوجودُهُ أظهرُ منه!!

ولهذا قال الرُّسُلُ لقومِهِم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فهو أَعرفُ من كلِّ معروفٍ، وأبِينُ من كلِّ دليلٍ، فالأشياءُ عُرِفَتْ به في الحقيقةِ، وإنْ كانَ عُرِفَ بها في النَّظَرِ والاستدلالِ بأفعالِهِ وأحكامِهِ عليه»<sup>(١)</sup>.

□ وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «معرفةُ الله سبحانه نوعان:

الأولُ: معرفةُ إقرارٍ، وهي التي اشتركَ فيها الناسُ؛ البرُّ والفاجرُ، والمطيعُ والعاصي.

والثاني: معرفةٌ توجبُ أحياءَ منه والمحبةَ له وتعلُّقَ القلبِ به والشوقَ إلى لقاءِهِ وخشيتهُ والإنابةَ إليه والأنسَ به والفرارَ من الخلقِ إليه، وهذه هي المعرفةُ الخاصةُ الجاريةُ على لسانِ القومِ، وتفاوتُهُم فيها لا يُخصِصُهُ إِلَّا الذي عَرَفَهُم بنفسِهِ وكَشَفَ لقلوبِهِم من معرفتِهِ ما أخفاهُ عن سِواهم، وكلُّ أشارَ إلى هذه المعرفةِ بحَسَبِ مقامِهِ وما كُشِفَ له منها، وقد قالَ أَعرفُ الخلقِ به: «لا أُحْصِي ثَناءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»<sup>(٢)</sup>، وأخبرَ أَنَّهُ سبحانه يفتحُ عليه يومَ القيامةِ من محامدِهِ بما لا يُحْسِنُهُ الآنَ.

(١) «فوائد الفوائد» (٢٧ - ٢٩).

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم (٤) - كتاب الصلاة، ٤٢ - باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٣٥٢/٤٨٦) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

□ ولهذه المعرفة بابانٍ واسعانِ:

البابُ الأولُ: التفكُّرُ والتأمُّلُ في آياتِ القرآنِ كُلِّها، والفهمُ الخاصُّ

عن الله ورسوله ﷺ.

البابُ الثاني: التفكُّرُ في آياته المشهودة، وتأمُّلُ حكمته فيها وقدرته

ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسطِ على خلقه.

وجَماعُ ذلك: الفقهُ في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكما لها وتفردِه

بذلك وتعلُّقها بالخلق والأمر؛ فيكونُ فقيهاً في أوامره ونواهيه، فقيهاً في

قضائه وقدره، فقيهاً في أسمائه وصفاته، فقيهاً في الحكمِ الدينيِّ الشرعيِّ

والحكمِ الكونيِّ القَدريِّ، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾ [الحديد]»<sup>(١)</sup>.

□ وقال مُغيثُ الأسود: «زُورُوا الْقُبُورَ كُلَّ يَوْمٍ تُفَكِّرْكُمْ، وَشَاهِدُوا

الموقفَ بقلوبِكُمْ، وانظروا إلى المنصرفِ بالفريقينِ إلى الجنةِ أو النارِ،

وأشعروا قلوبِكُمْ وأبدانِكُمْ ذِكْرَ النَّارِ وَمَقَامِهَا وَأَطْبَاقِهَا، وكان يبكي

عند ذلك حتَّى يُرْفَعَ صريعاً من بين أصحابه قد ذهب عقلُه»<sup>(٢)</sup>.

□ وقال أبو سليمان: «الفِكرُ في الدُّنيا حِجابٌ عن الآخرةِ والفِكرُ في

الآخرةِ يُورِثُ الحكمةَ ويُحيي القلوبَ»<sup>(٣)</sup>.

□ وعن امرأةٍ كانت تَسكنُ الباديةَ قريباً من مكةَ أنها قالت: «لو

تَطَلَّعتْ قلوبُ المتقينِ بِفكرِها إلى ما قَدِ ادَّخَرَ لها في حُجُبِ الغيبِ من خيرِ

(١) «الفوائد» لابن القيم (٣٧٨ - ٣٧٩).

(٢) «الإحياء» (٤/٤٢٥).

(٣) «الإحياء» (٤/٤٢٤).

الآخرة لم يَصِفْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَيْشٌ وَلَمْ تَقَرَّرْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَيْنٌ» (١).

□ وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «أَنْفَعُ الدَّوَاءِ أَنْ تَشْغَلَ نَفْسَكَ بِالْفِكْرِ فِيمَا يَعْنِيكَ دُونَ مَا لَا يَعْنِيكَ، فَالْفِكْرُ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ بَابٌ كُلُّ شَرٍّ، وَمَنْ فَكَّرَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ فَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ وَاشْتَغَلَ عَنِ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لَهُ بِمَا لَا مَنَفَعَةَ لَهُ فِيهِ، فَالْفِكْرُ وَالْخَوَاطِرُ وَالْإِرَادَةُ وَالْهَمَّةُ أَحَقُّ شَيْءٍ بِإِصْلَاحِهِ مِنْ نَفْسِكَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ خَاصَّتْكَ وَحَقِيقَتُكَ الَّتِي لَا تَبْتَعِدُ أَوْ تَقْتَرِبُ مِنْ إِهْلَاكِ وَمَعْبُودِكَ الَّذِي لَا سَعَادَةَ لَكَ إِلَّا فِي قُرْبِهِ وَرِضَاةِ عَنكَ إِلَّا بِهَا، وَكُلُّ الشَّقَاءِ فِي بُعْدِكَ عَنْهُ وَسُخْطِهِ عَلَيْكَ، وَمَنْ كَانَ فِي خَوَاطِرِهِ وَمَجَالَاتِ فِكْرِهِ دَنِيئًا خَبِيسًا لَمْ يَكُنْ فِي سَائِرِ أَمْرِهِ إِلَّا كَذَلِكَ» (٢).

□ أَنْشَدَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ:

فَتَرَكْتُ مَا أَهْوَى لِمَا أَخْشَى	إِنِّي رَأَيْتُ عَوَاقِبَ الدُّنْيَا
فَإِذَا جَمِيعُ أُمُورِهَا تَفَنَى	فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَعَالِمِهَا
كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ يَسْعَى	وَبَلَوْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا فَإِذَا
فِي الْعِزِّ أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَهْوَى	أَسْنَى مَنَازِلِهَا وَأَرْفَعُهَا
لَا فَرْقَ بَيْنَ النَّعْيِ وَالْبُشْرَى	تَعْفُو مَسَاوِيهَا مَحَاسِنَهَا

ونختتم بهذه الأحاديث العظيمة لسيد الأنام رَحِمَهُ اللهُ:

• عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَتَحَدَّثَتْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى

(١) نفس المصدر (٤/٤٢٤).

(٢) «الجواب الكافي» لابن القيم (ص ٨٦).

السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١﴾ [آل عمران]، ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّْ (١) فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ أَدْنَى بِلَالٌ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ (٢).

• عن حذيفة رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ. فَقُلْتُ (٣): يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِثَّةِ، ثُمَّ مَضَى. فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ. فَمَضَى. فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا. يَقْرَأُ مِثْرَسَلًا. إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ. وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ. وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ. ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ. ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» فَكَانَ سُجُودَهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

قال وفي حديث جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ: فقال: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ. رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ» (٤).

• عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قال: فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾ [النساء] رَفَعْتُ رَأْسِي أَوْ عَمَرَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ

(١) اسْتَنَّْ: أَي اسْتَعْمَلَ السُّوَاكَ.

(٢) الْبُخَارِيُّ «الْفَتْحُ» (٤٥٦٩)، وَمُسْلِمٌ (٧٦٣).

(٣) فَقُلْتُ: أَي فِي نَفْسِي، يَعْنِي ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَرْكَعُ عِنْدَ مِثَّةِ آيَةٍ.

(٤) مُسْلِمٌ (٧٧٢).

تَسِيلٌ» (١).

النبِيُّ ﷺ أَنهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقَيْتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقَيْتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقَيْتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الشَّعَالِبِ (٢) فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَانظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ» (٣) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» (٤).



(١) البخاري «الفتح» (٨/٤٥٨٢)، مسلم (٨٠٠) واللفظ له.

(٢) قرن الشعالب: مكان قريب من مكة.

(٣) الأخشبين: جبلان بمكة. قال ابن الأثير: الأخشبان الجبلان المطيفان بمكة،

وهما أبو قيس والأحمر وهو جبل مشرف وجهه على فعيقان (موضع بمكة

أيضاً) والأخشب كل جبل خشن غليظ الحجارة «النهاية» (٢/٣٢).

(٤) البخاري «الفتح» (٦/٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٥).